تحصين الشباب من الغزو الفكري

لمعالي الدكتور/ محمد بن سعد الشويعر

الحمـد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد:

فـإن الصـراع بـين الحـق والباطل مستمر، فالـحق قد أبانه الله سبحانه، وأوضح القرآن الكريم معالـمه التي يسترشد بها من أنار الله عقله، وفتح على بصيرته.

والباطل قد جعل الله على دربه أعواناً من شياطين الجن والإنس، يزينون للناس سلوكه، ويـمهدون لـهم حسن الاتباع؛ لأنه لا يحلو لـهم إلا جذبهم إلى حمأة هذا الباطل بالغين في سبيل ذلك نهاية الغواية. يقول الله جل وعلا لرسوله الكريم، محذراً له، وأمته بالتبعية، من الركون لأهل الباطل، والانقياد لشبههم وأقوالـهم، أو الاستماع لمعسول كلامهم؛ لما وراء ذلك من شرور وآفات، تباعد عن الحق الذي يوجه إليه داعي الـهدى .

وذلك في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه. من ذلك قوله جل وعلا في سورة الأنعام، ضمن آيات تحاور أهل الباطل وترد على شبهاتهم: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** ﴾[1].

والشباب الذين قد تفتحّتْ مداركهم على العلوم المختلفة، واستعدوا لتحمل المسئولية في الحياة، نحو أنفسهم ومن حولهم، ونحو دينهم وتوجيه أمتهم، يجب الاهتمام بهم، وإعانتهم على تخطي الصعاب المعترضة .

ذلك أن الشباب الذين هم الجوهرة الثمينة في جيد الأمة، والنجمة الساطعة في سمائها، هم في أمس الحاجة إلى النصح لهم، والمحافظة عليهم، ورعايتهم وتوجيههم، ضد الغزو الفكري، التي تتسع دائرته بين وقت وآخر، ويعرض بأساليب وشبهات .

ذلك الغزو الموجه من أعداء دينهم، الذين لا يريدون بهم خيراً، بل يثيرون الشكوك، حتى يباعدوا بينهم وبين دينهم بالشبهات، وقلب الحقائق .. في غزو فكريّ، يجعل بين الشباب، وبين تعاليم الإسلام، هوة سحيقة، ويجعلون بينهم وبين العلماء وولاة الأمر، عقبات كأداء، يتجسّم أمام الشباب تخطّيها.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦ .

وإن في الاهتمام بتحصين عقول الشباب ضد ذلك الغزو الموجه، لمما يتوفر للأمة به – بتوفيق الله – جيل صالح، يعين على تخطي العقبات، وينشط معه البناء والتعمير في عقول الشباب: حصانة وتعليماً، للوقوف أمام تيارات الأفكار الموجهة.

والأمم تحرص على الاهتمام والعناية بالشباب، وتبذل في سبيل رعايتهم وتعليمهم، الشيء الكثير من جهدها ومالها ونشاطها.. لأنها ترى من الضرورة المحافظة على صيانة وسلامة تلك الدرة الثمينة، في فترة التفتح، وإبان النظارة؛ لأنهم مناط الأمل، وركيزة التصدي – بعد توفيق الله – لكل ما فيه دفاع عن دين الله، ورد للشبهات التي تثار بين حين وآخر.

لكن هل حققت كثير من الأمم ما تريده من الأماني، وما ترجوه من ثمرة، وخاصة في المجتمعات الإسلامية، التي يصارع أبناؤها تيارات فكرية عديدة، موجهة نحو شبابها، ومقصود من وراء ذلك تصيّد عقولهم بالشبهات، في محاولة لطمس معالم الإسلام، ونكران أثر حضارته على البشرية، وخاصة أثر هذه الحضارة المشرقة على الغرب ..؟؟!! ومن ثم تحصل الآثار السيئة في المجتمع، وهذا ما يهدف إليه الأعداء .

ذلك ما نرجوه للأمة الإسلامية، بأن تكون قد أخذت بالأسباب، في تنشيط عقول الشباب، حتى يتصدوا للغزو الفكري،

الموجه لـهذه العقول بطرق شتى، وبأساليب عديدة، وحتى لا يتأثر الشابّ بـما يقصده الأعداء للصغير قبل الكبير، ولدين الإسلام قبل كل شيء، رغبة في أن تخفّ مكانته تدريجياً من النفوس؛ لأن الأعداء يدركون أن قوة المسلم في دينه، وحصانة الشابّ في قوة إيمانه وتمكنه، وإدراكه ما تعنيه تعاليم دينه.

فهم يغزونه من هذا الجانب لإحداث ثغرة ينفذ منها فكرهم في عقول شباب المسلمين، لتخدم أغراض الأعداء، وتضر بالمجتمع المسلم .

إن واقع الدراسات والإحصائيات في كثير من أمم الأرض اليوم، وفي مقارنة الجريمة والاستقامة، ومقاربة النفع بالضر، ليبدو منه إجابة واضحة بعدم تحقيق ما كانت تلك الأمم تؤمل، سواء كان هذا في الأمم القديمة أو الحديثة .

فالـجريـمة والتفسخ الأخلاقيّ وذوبان الشخصية المستقلة، وتوسّع دائرة النوازع الكثيرة، التي تضر بالفرد والجماعة، وما يضعون لذلك من دراسة، أو يفكرون في حلول، فإنهم مع هذا قد عجزوا أن يجدوا لتلك المشكلة المهمة علاجاً، يتغلب على جذورها في مجتمعاتهم، وقد ضجّ من ذلك عقلاؤهم، ومن له فكر يوجهه لإيجاد العلاج .

فكل ذلك وأكثر منه، يلمس لدى الشباب في تلك الأمم، وسببه الرئيس – والله أعلم – عدم الاهتمام ببناء الروح، ومعرفة ما

يوجبه الدين الصحيح، الذي جاء من عند الله؛ لأنهم معرضون عنه، والله يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [١].

ذلك أنهم يهتمون بالتركيز على قوام الأجسام، والاكتفاء بالمظاهر دون المخابر، ودون مخاطبة العقول بما يريحها، والقلوب بما يطمئنها: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [٢].

أين العلاج:

عند تلك الأمم، التي ضاعت في المتاهات، وعاش شبابها في خواء فكريّ، قادهم إلى ذوبان الشخصية ومن قبل فإن شباب جزيرة العرب، كغيرهم من التائهين في ظلمات الغواية، والانفلات من الاطمئنان الروحي، فهي أمور مسيطرة عند الناس عامة.. اللهم إلا وميض أضاء قلوب بعض الحيارى، ممن يلتمس مخرجاً من هذا الضياع .

ومن هنا بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالشريعة

---

(١) سورة طه، الآيات ١٢٤ – ١٢٧ .

(٢) سورة الرعد، الآية ٢٨ .

الإسلامية السمحة، لتعدّل اعوجاج النفوس، وتوفر المسببات لتربية الروح التي يقوى بها الجسد: عزيمة وتضحية.. ومدها بالغذاء الذي يجعلها مستقيمة ونافعة:مستقيمة في نفسها ونافعة لغيرها وصالحة ومصلحة لمجتمعها .

فالنص الشرعي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**كلكم راع، وكلكلم مسئول عن رعيته**))[١]، يوقد جذوة في الأعماق، تتحدد معها المسئولية في التوجيه، والشعور بثقل الأمانة، والحرص على العلم الذي يعين على أداء هذه المسئولية. نحو الشباب، والعناية بهم .

إذْ هذا النص وأمثاله: قاعدة أساسية، يضعها المربيّ والمعلم الأول: صلى الله عليه وسلم ركيزة في الاهتمام بالشباب، وحسن تعليمهم؛ لأنهم رعية عند من استرعاهم الله، واجب الاهتمام بهم، وحسن توجيههم، وذلك حسب التسلسل في المسئولية: من الأبوين اللّذين تفتحت عيون الشباب، منذ ولدوا في أحضانهما، ليأخذوا عنهما الدروس الأولى، في مبدأ التعليم، ومن ثم يتأثرون بهما تقليداً وتوجيهاً، يقول الشاعر:

---

(١) من حديث شريف صحيح رواه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وينشأ ناشيء الفتيان منّا   على ما كان عوده أبوه

وأبلغ من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**))[1].

ثم يمتدّ الأثر مع الاخوة الأكبر فالأكبر، من الأقارب ومن يحيطون بهذا الشاب، الذين يجب عليهم الإحسان في تنمية هذه البذرة؛ ليستقيم على المنهج السليم، الذي فطر الله الناس عليه: ((**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه، كما تلد الشاة بهيمة جمعاء، هل ترون فيها من جدعاء**))[2] .

ثم يمتد التسلسل في المسئولية والرعاية للشاب ليأتي دور آخر، يأخذه الشاب من معلمه في مراحل التعليم العامّ، ليصل بعد ذلك وقد كبر جسمه، ونما عقله إلى المرحلة الجامعية، حيث يترتب عليه في هذه المرحلة، مع نمو العقل والجسم، نموّ الاهتمام بما حوله، واستعداده لأداء الأمانة، وتحمل المسئولية.. فإن كان التقويم لهذا الشاب، وحسن التوجيه تدرج معه، مع نمو عقله، وبلوغ رشده، صالحاً ومفيداً، سهل تحصين الشباب ضد الغزو الفكري، وخاصة في هذا الزمان الذي أجفل فيه الشرق والغرب،

---

(1) من حديث شريف صحيح رواه البخاري في كتاب (الجنائز) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) المصدر السابق.

بخيلهم ورجلهم على أمة الإسلام، بشبهات متعددة المسارات، إعلامياً بقنواته الثلاث: المسموع والمرئي والمقروء. إلى جانب الفضائيات والإنترنت وغيرها من وسائل، مع توجيه متعمّد، وغزو سافر.

والمقصود في هذا الغزو الفكري، الشباب الإسلامي لتعبئة أذهانهم بفكر مختلط، يمتزج فيه الغث بالسمين، ويختلط فيه الحابل بالنابل.. بقصد جعل الشاب تائهاً، مذبذب النزعات حائراً لا يعرف من أين يتجه؛ ليجعلوا منه طابوراً خامساً، يخدمهم وإلباً على بني جنسه، فيأخذوا كلامه بدون علمٍ: حجة؛ لأن من تكلم بغير علم أتى بالعجائب .

خاصة وأن فكرهم هذا الموجه لشباب الإسلام، يسيّره **تربوياً:** علماء النفس، ويرعاه علماء الاجتماع، بحيلهم ونظرياتهم المادية، البعيدة عن منهج الإسلام ، ومخاطبة العقول بما يسعدها، يقول سبحانه: **﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾**(١) .

ومادياً: بما يسخرون من أموال في هذا السبيل رصداً وتخطيطاً، ومتابعة وتنفيذاً، يتبع ذلك الدراسة، واستظهار النتائج.. ثم تغيير المنهج في حيل تستقطب أحاسيس بعض الشباب، الذين لم يتسلّحوا ضد ذلك الغزو، ويعوزهم إدراك أساليبهم المتشعبة في التأثير

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٤ .

على شباب المسلمين. وما يريدون من وراء أعمالـهم هذه .

وإذا كانت الوقاية الصحية، تقتضي التنّبه لما وراء تلك المقاصد، ثم الاهتمام بتنفيذ ما يحصّن المجتمع بفئاته، عن كل خلل يطرأ.. والمبادرة في كل وقت، قبل بروز الظاهرة، حتى يتهيأ – بإذن الله – للعقول حصانة، ضد الأوبئة الفكرية، التي يخشى منها انتشاراً في المجتمع، حتى تقوى لديها المناعة، ثم القدرة على المواجهة للشبهات، بالأعمال والأجوبة المفيدة المقنعة.

فإن هذا العلاج يحتاج إلى تهيء نفسي، ورصد مادي.. مع المتابعة بالجهود والدراسة والتخطيط. ونحن المسلمين مع التحديات الموجهة، والجهود المبذولة من أعدائنا في هذا الوقت بالذات؛ لطمس معالم ديننا، يجب أن نتسلح برعاية الشباب، وتهيئتهم للمواجهة، وإدراك مكامن الخطر. فإذا كان مثل هذا لازماً ومحسوساً، في الوقاية من الآفات المرضية، سواء للإنسان أو الحيوان أو البيئة.. وبذل الجهود والأموال، ومتابعة الإرشادات، والاهتمام بالتوجيهات المتخصصة لكل نوع .

كل هذا من أجل حماية المجتمع، والمحافظة على سلامة أجسام أبنائه من الأمراض، والحامي والحافظ هو الله سبحانه. ولكن هذا العمل من الأسباب التي أمر الله بها.

فإن الشباب، وحماية عقولـهم في مراحل حياتهم، في حاجة

أكبر إلى جهود وأعمال، تعين على توضيح حسن المآخذ، وتـمييز كل فكر وافد وإدراك أبعاده. حتى تتحصّن أفئدتهم، كما يتحصّن الجسم باللقاحات عن الأمراض الضارة .

ذلك أن كل من بَعُد عن الإسلام وتعاليمه، يسوقه الحسد والغيرة، من جهة، والعداوة والإضرار من جهة أخرى، بالإسلام وأهله، فيحرص على تصدير سـموم مجتمعاتهم، التي أفسدت شبابهم باتباع الـهوى، إلى شباب المسلمين، وبالذات من هم في مرحلة النضج الفكري، وتحمل المسئولية، حتى يجدوا ممن تستهويهم تلك المظاهر، أو تأثر بـما جاءه من فكر لم يدرك أبعاده، وضرره على نفسه وعلى أمته، مَنْ قد يركن إليهم، ويـميل قلبه لفكرهم، فيطمعوا بفساده كما فسد مجتمعهم والتأثر ثم الدفاع عن معسول فكرهم، والله يقول: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [(١)]، مع أن تعاليم ديننا نهت عن متابعتهم والركون إليهم: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾ [(٢)].

ومن فسد هانت عليه تعاليم دينه، ومتى تساووا في هذا

---

(١) سـورة البقرة، الآية ١٢٠ ويراجع في هذا بحثنا تحت عنوان: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى بمجلة البحوث الإسلامية العدد (٢٣) ص ٢٠١-٢٢٤ .

(٢) سورة هود، الآية ١١٣ .

الاتجاه سهلت قيادتهم، كما جاء في الأثر: ((**من عصاني وهو يعرفني، سلطت عليه من لا يعرفني**))[1] .

ولذا فإن الحصانة للشباب الجامعي، مع حسن التوجيه تتأكد في حثهم على التمعن في تعليمات الإسلام، من مصدريه: كتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والتبسّط في شرح ما قد يغمض فهمه عليهم، من مدرسيهم، ولدى من عنده علم ممن يختلطون به: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ** ﴾[2].

فهذان المصدران: ندرك بهما أن تربة الإسلام خصبة، والتربة الخصبة دائماً جيدة العطاء، مفيدة لمن يستثمرها.

كما ندرك أن جذور التوجيه في قاعدة دين الإسلام مكينة وراسخة البناء، وأن عروق غراس الإسلام، ترتع في مياه عذبة وغزيرة. وما ذلك إلا أن هذين المصدرين المهمين، هما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته من بعده.. ولن تضلّ الأمة، أو يجد العدو منفذاً للدخول على الأمة، بغزو أو شبهات ما دامت حريصة عليهما، ومتمسكة بهما، حيث قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه، لما طلبوا منه الوصية.. فأجابهم بقوله الكريم: ((**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي**))[3] .

---

(١) جزء من حديث قدسي .

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨ .

(٣) رواه النسائي في السنن عن ابن عباس وجابر بن عبدالله.

فإذا كان الحريصون على تنمية الأجسام، وإعدادها للمواجهة، يرعونها تدريباً وتعليماً، وملاحقة ولياقة حتى تتهيأ لما أريدت له: رياضياً أو مهنياً، بحسب الحاجة الملحّة لكل موقف، كما تضمّر الخيول وتهيأ قبل دخولها السباق، أو استعدادها للمعركة .

والجندي لا يدخل المعركة، إلا بعد تمرين على أنواع من الأسلحة. وتعريفه بعض النقاط التي يجب أن يستغلها ضد عدوه، وتبيين مواطن الضعف عند خصمه، وكيفية المواجهة معه.

والسبَّاح لا يسمح له بإلقاء نفسه في اليم، إلا بعد التأكد من قدراته في السباحة، ومتابعة تمريناته على مواقف صعبة في مجاله، والاهتمام بجسمه ولياقته.

وهكذا في شئون الحياة كلها، يسبق كل مواجهة تهيئة ومتابعة، وتأكد من القدرة على الصمود وتحقيق النتائج المطمئنة.. كل هذا خوفاً من الخسارة، وضماناً لأثر ماديّ أو نتائج في الميدان الموجه له. إذا كان هذا لازماً فيما هو محسوس، فإن الاهتمام بالشباب، ورعايتهم فكرياً، وتحصينهم دينياً، ومتابعة ذلك توجيهاً، حتى تتسع مداركهم لإدراك مكامن الداء ووصف الدواء، من أهم المهمات التي يجب ألا تقتصر في مراحل الدراسة عامة وفي المرحلة الجامعية خاصة على المنهج الدراسي، والمواد المقررة، التي يعتبرها بعض الشباب للامتحانات فقط .

وإنـما فتح المجال، ومناقشة ما يطرح على الساحة يومياً، من تحديات وشبهات وما جدّ من أساليب في الغزو الفكري. يراد منها طمس معالم الإسلام، ومسخ أثر حضارته على البشرية، ورمي مصدريه: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالإرهاب، وتعاليمه بالقسوة، وإفساد المجتمعات، ووصف الإسلام بصفات منفّرة، تحت مسميات شتّى [(١)].

بل بلغ الأمر من أعداء دين الله إلى ما هو أكبر، بطلب حذف آيات الجهاد من القرآن، وإبعاد كل ما يتعلق بشبهات أهل الكتاب، ومكائد اليهود التي فضحها القرآن الكريم، حتى يتحقق لـهم ما يريدون من تبديل لكلام الله، وزعزعة لمكانة مصدري التشريع في الإسلام: القرآن الكريم، والسنة المطهرة من القلوب، حتى يخفّ الميزان في قلوب أبناء المسلمين، فيتساووا معهم في المعصية: **﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾**[(٢)].

فالقرآن الكريم هو كلام الله، وهو مصدر عزّ المسلم، ومكمن القوة في قلبه، وليس في تعاليمه قسوة، ولا إفساد للمجتمعات، كما يطرحون اليوم، وإنـما فيه الرفق واللين، والمـحبة

---

(١) يراجع في هـذا بحثنا عـن: (الإلحـاد وعلاقـته بـاليهود والنصـارى) بمجلة البحوث الإسلامية العدد (١٤) ص ٢٠٩-٢٢٣ .

(٢) سورة الصف، الآية ٨ .

والحرص على إصلاح المجتمعات لما فيه الخير والسعادة .

وحتى تقوى هذه المكانة في قلوب الشباب، لا بد من إبرازها عندهم بنماذج من أقوال أعداء دينهم، وهي كثيرة جداً؛ لأن الضد يبرزه الضد، مثل قولهم في أحد مؤتمرات الاستشراق وقد أحضر أحدهم نسخة من القرآن الكريم، ومجسماً للكعبة المشرفة، وقال: ما دام هذا وأشار للقرآن، وهذه بين أيديهم وأشار للكعبة، يحتلاّن مكانة في قلوب المسلمين فلن نستطيع النفاذ إلى عقولهم .. فسئل: وما الحل ؟ قال: نمزّق هذا القرآن، ونهدم الكعبة، ونوجد مكانها كنيسة. كان هذا في عام ١٩٠٩م، في أحد مؤتمراتهم بالقدس. فتناول أحدهم المصحف ومزّق ورقات منه. فقال له صموئيل زويمر: أنت أحمق نريد تمزيقه من قلوبهم، وعدم تطبيق ما فيه.

ويقول أحد وزراء إيطاليا في مؤتمر آخر: لن يرتاح لنا بال ما لم تنزع المرأة المسلمة الحجاب، وتغطي به القرآن [١].

بل أكثر من ذلك مع أحداث ١١ سبتمبر في أمريكا: نشر في كبريات الصحف الأمريكية هجوماً شرساً على مقدسات المسلمين، وخرجت كتابات محزنة، وصور تنبئ عن مكنون الصدور ضد الإسلام، مع تركيز الهجمات على المملكة العربية السعودية، باعتبارها قلب الإسلام النابض، ومَرْنى أفئدة المسلمين في كل مكان.

(١) صحيفة النور بالجزائر – العدد ١٤ صفر عام ١٤٢٢هـ.

حيث يرون المملكة التي شرفها الله برعاية الأماكن المقدسة، واهتمت بالدعوة إلى دين الله شوكة في نحورهم، وملجأ بعد الله للمسلمين، يستمدون العلم من جامعاتها، ويسترشدون فيم اختلف فيه من أمر، من فتاوى علمائها؛ لأنها تستند على ما قال الله، وما صح من سنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم؛ ولأنها على منهج السلف الصالح، المترسمة خطا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم بإحسان، بحسن المأخذ من كتاب الله عز وجل، وما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما قال به الخلفاء الراشدون الذين أوصى رسول الله عليه الصلاة والسلام، بالتمسك بسنتهم، والعضّ عليها بالنواجذ ..

فقد أحيا أعداء الله. ما أشار به المستشرقون من قبل، بنعت منهج المملكة، وأهل السنة في كل مكان: بالوهابيين باعتبار ذلك مذهباً جديداً في الإسلام، وبدعة في تعاليمه .. على طريقتهم من قديم في تشويه الصورة، حتى يتأثر بهم قليل المعرفة أو صاحب الهوى، ومن في قلبه مرض، والجاهل الذي يساق بدون رويّة، وزادوا في هذا العصر بتكثيف الإعلام، الذي يريدون من ورائه إطفاء نور الله بأفواههم، وفي القرآن الكريم وسيرتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العدوانية ما يكشف نواياهم، ويظهر حقدهم على الإسلام وأهله.. وإن تلبّسوا في هذا الزمان بأساليب ملوّنة كالأفعى،

ملمس لين تحته سم زعاف: فإن الكفر ملّة واحدة، وعداوتهم ثابتة. وحتى يتنبه الشباب ومعلموهم، لمكامن الخطر، ويسعوا جادين في التسلح لخوض المعركة العقائدية والفكرية مع أعداء الله، وأعدائهم، أذكر حالتين لا بد أن كثيراً قرأهما، وخاصة الذين يتتبعون صحافة الغرب، التي كشّر الكاتبون فيها عن أنيابهم، وبرز مكنون صدورهم:

الأولى: ما نشر في مجلة الواشنطن بوست بتخيل أحد كتابها، ليثير ذلك لدى قياداتهم: عندما رسم صورة الكعبة، وتوجيه طائرات تخترقها وتحطمها، وتشعل النيران في جنباتها، كما حصل في مركز التجارة الأمريكي.. انتقاماً مما حصل كما يقول .

الثانية: تعليق من أشهر كُتاب هذه الصحيفة، برغبته إلقاء قنبلة ذرية على مكة المكرمة حتى تنمحي من الوجود لينتهي الإسلام .

ولـهذا نظائر كثيرة، وخاصة الإثارة ضد المملكة العربية السعودية، التي يرون عز الإسلام في مكانتها؛ لأن أفئدة المسلمين ترنوا إليها، ويتخيلون أن الإضرار بها إضعاف لمكانة الإسلام، ولكن الله سبحانه حافظ دينه، ومهيء له قيادة مخلصة ترعاه وتحافظ على مُـثُـلِه، وهذا آخر سهم يرمون به، وسيبطل الله كيدهم، وينصر دينه وحماته، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝ ﴾[1]، ويقول جل وعلا : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا

(١) سورة غافر، الآية ٥١ .

مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، فنصر الله حق ثابت، لأهل الإيمان الصادقين في إيمانهم عقيدة وعملاً .

فإن اعتبروا مثل هذه الأقوال والأفكار لا تصدر إلا عن السفهاء، وليست جادة، وما أكثر ما نجد مثلها في أفكارهم وسرّيات مؤتمراتهم، فإن المثل العربي عندنا يقول: خذوا علوم القوم من سفهائهم، ويقول سبحانه: ﴿ **وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً** ﴾[2]، والشاعر العربي يقول في حكمته:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ويجب أن ترسخ عند الشباب، خاصة هذه النفثات، على أنها أفكار جادّة؛ لتؤخذ الأهبة، ويعدّ السلاح الفكري والمادي لذلك .

ونحن المسلمين سلاحنا الروحي أمكن من السلاح المادّي، وإن كنا معه مأمورون بإعداد القوة للعدو بصنوفها، وفي المقدمة سلاح العقيدة والدين، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3]: ((نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومتى ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)) .

ألم يقل الله سبحانه عن أهل الكتاب والأعداء: ﴿ **لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ**

---

(١) سورة الروم، الآية ٤٧ .

(٢) سورة النساء، الآية ٨٩ .

(٣) تراجع سيرته وبعض أقواله عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، الخلفاء الراشدون٧١ — ١٤٥، وعند ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ٢٤-١٧٤ .

فَسِقُونَ ﴾[١].

حسن التوجيه:

الحوار الفكري والجدال في الشبهات، التي يطرحها أهل الكتاب قديمة، بدأت مع ظهور الرسالة في مكة المكرمة، ثم بعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، واستمرت إلى الآن، وستبقى لكن الشبهات تتجدد في المظهر أما المغزى فثابت .

واليوم نجد الشباب في حاجة لتمكين دور شريعة الإسلام، في بناء الشخصية وأثر العبادات، وتعاليم الإسلام في استقامة النفس البشرية، وتعديل اعوجاجها، وتوفير المسببات لتربية الروح ومدّها بالغذاء الذي يجعلها مستقيمة في نفسها، ونافعة لغيرها، وصالحة ومصلحة لمجتمعها .

فالنص الشرعي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، يضع قاعدة في بناء الأمة وإصلاحها، إذ يقول عليه الصلاة والسلام: ((**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**))[٢]، ثم بين هذه الرعاية من القمة، فيمن يتولى قيادة في مجتمعه، أو عشيرته عند من استرعاهم الله: من الأبوين اللذين تفتحت عيون الأبناء في أحضانهما منذ ولدوا؛ ليأخذوا عنهما الدروس الأولى، في مبدأ الإدراك والفهم،

(١) سورة التوبة، الآية ٨ .

(٢) من حديث رواه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

ويتأثروا بهما: تقليداً وتوجيهاً كما مر بنا .

حيث يـمتد الأثر مع الاخوة الأكبر فالأكبر، ومن الأقارب ليأتي دور آخر، يأخذ فيه الشباب العلم والقدوة من المعلمين في المدرسة حسب مراحل التعليم، ليصل إلى الجامعة، وقد نـما عقل الشاب، وكبر اهتمامه بـما يدور حوله.. فإن كان التقويم وحسن التوجيه في هذه المراحل صالحاً ومفيداً، سهل تحصين الشباب وخاصة في الجامعات ضد الغزو الفكري، وأصبح لديهم قدرة في التصدي للتيارات الموجهة إليهم، كل حالة بـما يلائمها. وخاصة في هذا الزمان الذي أجفل الغرب والشرق بخيله ورجله، على أمة الإسلام بغزو متعدد القنوات :

إعلامياً بقنواته الثلاث: المسموع والمقروء والمرئي.. وأخطر ما في ذلك القنوات الفضائية، والإنترنت، وغيرها بـما تبثه من غثّ يراد به الإلـهاء، وإفساد الأخلاق، وما تطرحه من شبهات وأكاذيب وسـموم تبلبل الأفكار، وتدغدغ المشاعر، ويتعمدون أخذ التعليق على ما يوجهون، ممن لا قاعدة علمية أو فكرية من أبناء المسلمين لديه حتى تكبر هوة الفكر .

ويسيّر ذلك أخصائيون متمرسون كما قلنا: في علم النفس، وعلم الاجتماع وفي الجدل بحيلهم، ونظرياتهم البعيدة عن منهج دين الإسلام، وتعاليمه التي يجب على الشاب المسلم – قبل غيره – الحرص عليها وتـنميتها في نفسه وفيمن حوله .

ومادياً: بـما يسخّرون من وسائل، وما يغدقون من مال، وما يشجعون من بحوث، في سبيل ما يدعون إليه، وما يرجون الوصول نحوه: رصداً وتخطيطاً، ومتابعة وتنفيذاً.. يتبع ذلك الدراسة واستظهار النتائج .

وإذا كانت الوقاية الصحية، والمحافظة على البيئة، تقتضي اليقظة والمتابعة، مع الحرص والاهتمام بالتنفيذ، إلى العناية بالسبل والمبادرة في تحصين المجتمع بفئاته: عن كل مرض يطرأ، وفي كل وقت قبل بروز الظاهرة، حتى يتهيأ — بتوفيق من الله — للأجسام حصانة من الأمراض، وللمجتمع وقاية عن الأعراض، التي يخشى منها الضرر، وللبيئة سلامة عن الأوبئة التي تؤثر في المصالح .

هذه الوقاية المطلوبة، يرصدون لـها أموالاً، ويبذلون لـها جهداً، وتحظى بـمتابعة ودراسات وتخطيط..

إذا كان ذلك لازماً في الآفات والظواهر التي تـمس الفرد في بدنه، والبيئة في محاصيلها، من أجل حماية المجتمع والمحافظة على سلامة أبناء الأمة — والحامي والحافظ هو الله سبحانه –، ولكن هذه الاحتياطات من الأسباب التي أمـــر الله بهـــا، ووجب الأخـــذ بهـــا؛ لأن الله جل وعلا قد جعـــل لكل شيء سبباً، يقول سبحانه: ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ [1].

(١) سورة الكهف، الآية ٨٤ .

فإن الشباب في مراحل دراستهم ونمو حياتهم، كالنّبتة عند الفلاح في مراحل نـموها، في حاجة إلى حماية عقولـهم من كل فكر وافد، وتحصين أفئدتهم عن تقبل السموم التي أفسدت تلك المجتمعات، البعيدة عن الإسلام وتعاليمه، فجاؤا ليوجهوها للمجتمع الإسلامي، بوسائلهم المختلفة، ليفسدوا شباب المسلمين، بما يوجهون لهم من فكر سيئ، وشبهات يغتر بها قليلوا الإدراك، سواء عاشوا في بيئاتهم، أو كانوا في مجتمعاتهم لم يحتكّوا بهم، فأرادوا غزوهم في قعر دارهم[1]، كما أخبر الله سبحانه من قبل، بقوله الكريم: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا** ﴾[2].

وما ذلك إلا أن الشباب، سيتحملون عن قريب مسئولية كبيرة في مجتمعاتهم: تعليماً وتربية وأمراً ونهياً، وتصريف أمور الأمة أخذاً وعطاء وتوجيهاً وتخطيطاً.

فإن تأثروا بهم ضَمِنَ الأعداء نفاذهم بواسطتهم إلى المجتمع الإسلامي، وإدخال ما يريدون شيئاً فشيئاً، أما إذا أدركوا ما يريده العدوّ وحافظوا على دينهم، ورعاية أمتهم على ضوء منهج شرع الله، كان ذلك خسارة لـهم، وبطلاناً لمخططاتهم .

---

(١) يمكـن الاستئناس بـمـا جاء في بحثنا بعنوان: « التبشير في الخليج والجزيرة » بمجلة البحوث الإسلامية العدد (٩) ص ٢٨٩-٣٠١ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٩ .

ولذا فإن من الحصانة لدى هؤلاء الشباب، وتقوية القدرات المناعية عندهم، حتى لا يتقبّلوا كل شيء وافد، وحتى يعتزوا بما أكرمهم الله به، ويجعلوا بينهم وبين الأعداء ستاراً لا يمكن التطاول لتجاوزه: الاهتمام بتنمية أمور عند الشباب منها:

– البعد عن المعاصي .. فإن جميع الشرور التي تصيب المسلم، هي بسبب معاصيه، وهو الذي عرّفته تعاليم دينه سبل الخير ليعملها، وطرق الشر ليحذرها، يقول سبحانه: **﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾**[1].

– الحرص على القدوة الصالحة، في الرفقة وفي العمل وفي المجالس، حتى يستفيدوا منهم ويعينوهم على الخير، وينتفعوا من علمهم. يقول صلى الله عليه وسلم: ((**إنما مثل الجليس الصالح: كحامل المسك، إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ومثل جليس السوء: كمثل صاحب الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثاً**))[2].

– السؤال عن كل شبهة تطرح، والاستيضاح عن كل فكر وافد وأبعاده، حتى يعرف الشاب ما ينفع ليعمله، ويحافظ عليه. ويدرك الضار ليتجافى عنه؛ لأن الله يأمر بذلك: **﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ**

---

(١) سورة النساء، الآية ٧٩ .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1].

– الاهتمام بحسن التطبيق لكل أمر حسن، والدعوة إليه، وعدم مخالفة العمل لما تدعو إليه أيها الشاب، يقول سبحانه: **﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾**[2].

– تعويد الشباب على تمكين العلاقة بالله في كل أمر: فلا علم إلا ما يسّره الله لهم، ولا توفيق إلا ما قدره الله، والحرص على ما يوصل إلى تقوى الله: بالذكر والحمد، والتسبيح والاستغفار، يقول سبحانه في قصة نوح مع قومه: **﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٍ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا ﴾**[3] ويقول صلى الله عليه وسلم: ((**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**))[4].

– إدراك أن ما يعطيه العلماء والمعلمون لطالبي العلم، إنما هي معالم على الطريق، وجوازات سفر توصلهم إلى الغايات المطلوبة، وذلك باستمرار البحث والتعلّم، وزيادة التحصيل، وعرض

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٧ .

(٢) سورة الصف، الآية ٣ .

(٣) سورة نوح، الآيات ١٠ – ١٢ .

(٤) حديث أخرجه أبو داود عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (جامع الأصول لابن الأثير ٤: ٣٨٩) .

كل ما يعترضهم على المحك في شريعة الإسلام، والتعلّم ممن هو أقدر منهم، فلا ينال العلم مستحٍ ولا متكبّر.

– ترسم خطى سلف هذه الأمة، والتربية على منوال المدرسة الأولى، التي رعت شباب المدينة المنورة، الذين بحرصهم حملوا علماً غزيراً، وتركوا أثراً بارزاً في الاهتمام بالمثابرة والتعليم، والحرص والمتابعة، أمثال: عبدالله بن الزبير وأخوية مصعب وعروة، وعلي بن أبي طالب ثم أولاده: الحسن والحسين، ومحمد، وعبدالله بن عمرو، ومعاذ ومعوذ ابني الحارث، وجابر بن عبدالله، وأسامة بن زيد الذي قاد جيشاً جهّزه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمره (١٧) عاماً، وعمر بن عبدالعزيز – الخليفة الأموي – ومحمد بن القاسم، الذي فتح الهند والسند ولم يبلغ عمره العشرين، وغيرهم كثير من شباب الإسلام في كل زمان ومكان .. ممن اهتموا بدينهم، ودافعوا عنه بكل ما يستطيعون : باللسان وباليد وبالجهد؛ لأنهم أدركوا الدور الذي عليهم، فبذلوا طاقاتهم من أجل الذود عن حياضه، فهابهم الأعداء، وتعاضدوا فيما بينهم، يقول الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

دور الأمانة:

إن الأمانة التي عرض الله حملها على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، فظلم الإنسان نفسه

بحملها[1]، فهي مسئولية كبيرة على شباب الإسلام، بالحرص عليها أداء ودفاعاً، وخاصة في هذه الأيام التي تسلّط فيها الإعلام الغربي، والتنفّس الصهيوني ضد الإسلام، واعتبرها بعضهم عودة للحروب الصليبية كما جاء على لسان أحد ساستهم يقوله: الآن عادت الحروب الصليبية وذلك بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ م .. مما يعني أنها تحديات مكشوفة، ليست بالقول فقط، وإنما قد يكون وراء الأكمة، ما وراءها .. نسأل الله أن يقي العثرات، وأن يحمي دينه من كل متطاول وعابث .

وإنّ من المهم أن نذكر شيئاً لازماً، عن الأمانة المطلوبة من الشباب، والأمانة المطلوبة لهم ممن يتولى أمرهم، ويهتم برعايتهم وتوجيههم.

وهذا يستلزم توجيه الشباب للأعمال التي يتطّلعون لها، وتتناسب مع مدارك كل واحد منهم؛ لتكون قاعدة انطلاقهم في الدفاع عن دينهم وأمتهم، ونصحهم في بناء مجتمعهم.

هذه القاعدة التي يجب أن تكون متينة وراسخة تؤتي ثمارها اليانعة، بنتائجها التي يترقبها المجتمع من الشباب، وهم يتحملون المقاليد في بناء أمتهم:

أولاً: يحسن أن لا يغرب عن البال: أن الصغير يكبر، وبعد كبره

---

(١) تراجع آية الأمانة رقم ٧٢ في سورة الأحزاب، وتفسيرها عند ابن كثير .

يتحمل المسئولية، وينوء كاهله بأعباء كثيرة، نحو نفسه وأسرته ومجتمعه، وأهم ذلك نحو دينه، وصدّ كيد المعتدين؛ لأن الدين هو الجوهر الذي به العزة والكرامة. والشاب في هذا التحمل مطالب بأشياء وأشياء، عليه أن يسعها صدره، ويتعمّق في فهمها؛ لأن هذه الحماسة جزء من رسالته في الحياة، وهي ما يوجهه إليه رب العالمين في مثل هذا الأمر الكريم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[1].

وكل شاب يعرف أن عليه مسئولية في أي عمل، نراه يهتم به؛ لكي يُرْضي مَنْ يتابعه، مع الطمع في الحصول على النتائج الوقتية، فكيف بالمسئولية أمام الله جل وعلا، وأنه سيسأل، وجاء هذا السؤال بتأكيد بعد تأكيد، والبلاغيون يقولون: زيادة المبنى، زيادة في تمكين المعنى .

وهذا لأهمية الأمر الذي يجب على الشباب خاصة، وعلى كل فرد في المجتمع الإسلامي بصفة عامة، وضعه نصب عينيه.

ثانياً: الإخلاص في العمل، والحماسة ضدّ من يناصب دينهم العداء، فقد جعل رسول الله المسئولية عامة على الصغير والكبير، والغني والفقير، كل يجب أن يبذل ما في وسعه حمية لله . نحو دينه، ومدافعة شبهات المغرضين، فالكبير يوجه الصغير، والعالم يبيّن للجاهل والغافل؛ ليكونوا سداً منيعاً، لا يستطيع العدو أن يجد له مجالاً للنفاذ

(١) سورة الزخرف، الآية ٤٤ .

بينهم، ولا أذناً تسمع ما يقول من شبهات، أو يبدر منه من نفثات .. يقول صلى الله عليه وسلم: ((**كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك**))[1] .

فقد جعلهم جميعاً حراساً أمناء، على هذا الكيان العظيم الذي اختاره الله لخير أمة أخرجت للناس، ورضيه جل وعلا لهم ديناً : ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾[2].

ثالثاً: ولما كان الله سبحانه، قد جعل للإنسان، هبة منه سبحانه: السمع والبصر والفؤاد والقلب، وجميع الأحاسيس التي يدرك بها ما حوله في هذه الحياة، فإن هذه يكتمل نموها لدى الشباب في مرحلة التحصيل الدراسي بمراحله، وهي أمكن ساعات العمر عنده: قدرة على الأخذ، وقدرة على الفهم والتمييز، وحيوية في العطاء والرد على التحديات الموجهة نحوهم ونحو أمتهم .

وهذا يستلزم عليهم، وعلى من أنيط به تعليمهم وتوجيههم، رعاية هذه المواهب، في بوتقة أفق الإسلام. ونظرته الشمولية، ليستمد الشباب من ذلك طاقة تعينهم على أن يكونوا مؤثرين لا متأثرين،

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة عن يزيد بن مرثد، قال: قال صلى الله عليه وسلم .

(٢) سورة المائدة، الآية ٣ .

وموضحين للأمور البعيدة التي يهدف إليها الإسلام بتعاليمه، نحو النفس البشرية؛ لتسعد في حياتها، وبعد مماتها، بدل أن يكونوا مدافعين للشبهات الموجهة نحوهم ونحو دينهم .

رابعاً: تنمية الأخوة الإسلامية، بين شباب المسلمين، من أي لغة، وبأي موقع على الأرض؛ لأن الإسلام لا يفرق بين عجمي وعربي، إلا بالتقوى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾[1]، والسعي في إبعاد الحزازات والتفرقة - كجزء من مكائد الأعداء - وبث المحبة والترابط فيما بينهم، تحقيقاً للتوجيهات الكريـمة، في مبادئ هذا الدين، حتى تصفو النفوس، وتتشابك الأيدي في صف واحد، ضد مخططات الأعداء التي يحبون ترويجها بين شباب المسلمين، حتى يتفرقوا شيعاً وأحزاباً.. مع الاهتمام بالتشاور والتناصح بين الاخوة المسلمين.

يقول صلى الله عليه وسلم: ((**المؤمن أخو المؤمن لا يكذبه ولا يظلمه ولا يخذله**))[2]، ويقول أيضاً: ((**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا**))[3]. وعليهم في هذا أن ينطلقوا في هدفهم، من دروس الإسلام، التي وحدّت بين بلال الحبشي، وسلمان الفارسي،

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠ .

(٢) يراجع تفسير ابن كثير للآية الكريمة: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ ٤: ٢١٠-٢١٢ .

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله .

وصهيب الرومي، وأبي بكر العربي القرشي[1]. وغيرهم من الأجناس الذين رفع الله بحماستهم ودفاعهم، راية الإسلام في الآفاق .

خامساً: أن يكون الشاب غير مندفع بدون علم، وأن يكون مستشيراً فيما يريد عمله ممن له تجربة أكثر، وأمكن علماً، حتى لا يستجرّه الخصوم إلى مزالق تضرّ أكثر مما تنفع، ويتخذها الأعداء ثغرات ينفذون منها لما يريدون؛ لأن من تكلم بغير علم، أساء من حيث لا يدري .. والمثل يقول: من تكلم في غير فنّه أتى بالعجائب.

والأفضل للشاب في بداية أمره أن يكون مسترشداً وسائلاً، ومستمعاً أكثر مما يتكلم، ليتعلم من السماع، كيفية التروّي، والفهم الجيّد لما يدور حوله من تيارات .. وإدراك طريقة النقاش والنفاذ إلى أعماق الآخرين .

سادساً: أن يكون الشاب في المرحلة الجامعية خاصة وفي غيرها عامة : حسن الخلق، حليماً فيما يأمر به أو يناقش فيه، صبوراً فيما ينهى عنه، وألا يجادل غيره في الشبهات التي تطرح ضد الإسلام، إلا بالتي أحسن، حتى يتعوّد على الأسلوب النافع، والطريقة المجدية بعد خروجه للحياة العملية، ومقارعة الآخرين، مسترشداً بهذه الآيات الكريمة من قول الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ**

---

(١) لراغب الفائدة مراجعة تراجمهم في أسد الغابة لابن الأثير.

﴿وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

وما خفي عليه، في فعله أو قوله، يقف عند هذا الأثر الموقوف على ابن مسعود رضي الله عنه: ((ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح)) .

المرور ببعض الشبهات:

إن ما يتعرض له الشباب، مما يشوش على أفكارهم، وخاصة في عصرنا هذا، حيث أشرعت السهام ضد الإسلام، بأهداف ومسميات شتى، وفي مقدمتها كلمة الإرهاب، الذي جعلوه شعاراً ضد الإسلام ومبادئه وقيمه، ومع هذا الشعار وتحت مظلته تكاثرت التيارات المتعارضة، وتباينت الأغراض المقصودة، فكانت فتناً يحتار فيها الحليم .

وكثرت الأفكار المتصارعة، الموجهة نحو شباب الإسلام، مما أصاب بعضهم بالحيرة، في هذه النماذج الفكرية، وكيفية مواجهتها، وبعضهم انساق بدون روية مدفوعاً أو مقلداً، كما حصل عندما تكاثرت الأفكار في أيام الدولة الأموية، وما بعدها، وعندها نبت

---

(١) سورة فصلت، الآيات ٣٣ – ٣٦ .

الأعداء الذين دخلوا الإسلام خداعاً، أو ممن تأثروا بخلفيات الأمم المغلوبة عقيدة وفكراً، فنشأت الفتن والفرق، وظهر شباب أحداث السن، خاوية عقولهم، فخرجوا على جماعة المسلمين، وسموا الخوارج بفكرهم وعدم فهمهم منطلقات الإسلام، واتباعهم من لا يريدون لوحدة المسلمين، وعقائدهم خيراً، فنشأت البداية في تكفير ولاة الأمور، والعلماء .

ولذا كان على المهتمين بالأمانة العلمية، والمتحملين للقيادة والتوجيه، واجب يحسن بهم أن يأخذوا الحيطة من أجله، وجهوداً يجدر بها أن تبذل، من أجل حماية الشباب، وتحصين عقولهم عن تلك الأفكار المسلّطة، وتنقية أفكارهم من تلك التيارات الجارفة.. وإحلال أذهانهم بأفكار إسلامية مكانها، حتى يتكون لدى الشباب في البيئة الإسلامية – بفضل من الله –: مناعة في التصدي، وقدرة على فهم ما ينطوي عليه الغزو الفكري الموجه، ومن مثل هذا تتكوّن لدى كل شابّ القدرة على المجابهة، ومقارعة الشبهة بحجة واضحة، بعدما تكتمل الحصيلة، التي يغترف منها في المجابهة .

وسأدلي بدلو في الميدان، مسترشداً بالتعليق والإدلاء بما يفيد ويعين، ومشاركاً بالتوضيح والإبانة، إذ حسبي في هذا التعرض: الحماسة والرغبة في المساهمة، وطرح الموضوع للإبانة عن أهمية الحاجة إلى حلول مريحة، تطمئن الأمة على شبابها، وتعين في حمايتهم

من المخاطر المحدقة بهم .

وعندما تُعْرف مكامن الخطر، وموطن الداء، يمكن للمختصين التعاون والتشاور في تلمّس العلاج، ووصف الدواء. ذلك أن الواجب التعاون مع الشباب اليوم، الذين يمرون بعقبات متعددة، وتحيط بهم مدلهمات خطيرة، وتكتنفهم تيارات عديدة، أكثر مما أحاط بشباب الأمس .

لأن العدو قد ركز شبهاته على صميم الأمة الإسلامية، ووجه غزواً سافراً متعمداً، بقصد بلبلة أفكار الشباب وجاءهم بأفكار وشبهات عديدة، مصداقاً للحديث الشريف الذي ورد في الفتن: بأنهم يأتون خلف ألف غاية وغاية. ويريد العدو من وراء ذلك السيطرة على أفكار الأمة ممثلة بشبابها، لمباعدتهم عن دينهم، وتشكيكهم في قدرة شرائعه على حلّ ما يعترضهم، ومحاولة صم آذانهم عن فهم تعاليمه، فهماً صحيحاً، أو أخذها من مصادرها الموثوقة، وتخفيف مكانة العلماء من نفوسهم، بأوصاف ونعوت وصلت إلى حد تكفيرهم، ثم تكفير ولاة الأمر؛ ليبرروا الخروج عليهم، وفتح باب الفتنة بالفساد والترويع .

ولذا فإن الحماية من تلك الأخطار – والحماية من الله سبحانه – تحتاج إلى جهد يبذل، وعمل متواصل، وجهود تتظافر من الشباب في الجامعات، مع فهم عميق منهم، وإدراك وروية من

أساتذتهم والموجهين لهم، حتى يتعاون الجميع في التركيز على ما يجب عليهم عمله؛ لوقف الفكر الزاحف عليهم، الذي يهدف لصد الشباب عن دينهم، وصرفهم عن التحمس له .

ولئن كان شباب اليوم، قد انفتحت أمامهم مصادر المعرفة، وتكاثرت عليهم الآراء المتباينة، وانتشرت في ثقافتهم المطروحة أمامهم الأفكار والنوايا المغرضة، التي يراد بها تشكيك المسلمين في تعاليم دينهم حتى ينحرفوا عنه، فإن المهم جداً، حتى لا يتشعب أمام الشباب في بلادنا وغيرها، مع الأحداث المتتالية، والمجسمة إعلامياً، عدم تركهم في الميدان وحدهم تائهين بين الغزو الفكري .. والشبهات المجسمة أمامهم.. وحائرين بين ما يجب أخذه، وما يحسن تركه. فهم مع ما يدور بينهم، كالواضع قدميه على تلّتين بينهما هوّة، يخشى من الوقوع فيها إن حرك إحدى قدميه بلا توازن أو تبصر.

إذاً هم في حاجة لمن يأخذ بأيديهم، ويفتح ما انغلق أمامهم، في حل ينير لهم الطريق، ويبصرهم بما يجلّي الغشاوة أمامهم.. ويوضح المقصد من تلك الشبهات، سواء نحو تعاليم الدين، أو السمع والطاعة لولاة الأمر، أو الاسترشاد بالفتوى الصحيحة المستندة على النص الشرعي، من العلماء الموثوقين .

ولئن تعددت المصادر التي تأتي منها الأفكار والعلوم،

فأصبحت المعرفة الموجهة إلى الشباب، ذات أبعاد متنوعة من فكرية إلى عقدية، إلى مادية، وابتزاز، إلى وعود وتهديدات، إلى ملذات ودعوة لتسليم النفس قيادة الهوى، والنفس أمارة بالسوء .

فإننا نخاف على الشباب عموماً وشباب الجامعات بالذات، من الضعف أمام المغريات، والاستسلام والهزيمة، في إحباط يمسّ كيان الأمة، ولذا فإن من المهم تبصيرهم بالمصادر السليمة، التي تعينهم في تخطّي العقبات، ويؤخذ بأيديهم لما يوصلهم لبر الأمان، لينتفعوا وينفعوا .

فترابط أطراف العالم بثقافاته، وتشابك الطرق المؤدية إلى ذلك، وتعدد الوسائل الحاملة لهذه الثقافات، مما يدعو إلى إعانة الشباب في معرفة ذلك كله، وتبصيرهم بما خلف كل ثقافة، من بُعْد عميق في الجذور العقدية، وإدراك للمنطلقات الفكرية الموجهة للشباب، حتى يتفاداها؛ لأن غالبها خلفه أيد نشطة تحركه وتغذيه، وتدفع في سبيله الشيء الكثير من مال ووقت، وجهد وتخطيط، ومغريات وإعلام، ومواصلة ذلك بلا كلل ولا ملل .

حيث أصبحت وسائل الثقافة الموجهة، تتغير بين وقت وآخر بمسميات ورموز، فتوافرت في كل صقع من الأرض، بل دخلت كل بيت في أنحاء المعمورة، حتى أكواخ الفقراء، ومضارب البادية، وحصون النساء المخدّرَات، ولم يكن بوسع أحد أن يوقف زحفها..؛

لأنها تسرّبت بالوسائل العديدة إلى كل مكان، وتحركها عوامل عديدة: من نفس وهوى وشيطان .. وشياطين الإنس أشد خطراً من شياطين الجن .

والشاب في الجامعات أصبح يصارع التيارات المختلفة، ويعاني من ثقافات اليوم، التي هي سلاح ذو حدين في التوجيه والاهتمام، مما يعني أنهم في حاجة إلى من يأخذ بأيديهم، ويعينهم في الفهم ومن ثم إدراك ما ينبغي عمله أمام ذلك السلاح .. الذي إن روعي طرح الحل أمام كل جانب، بعد فهمه جيداً، وإدراك أبعاده .. فهذا جانب خير ومفيد، ولا ننسى الاهتمام بشغل فراغهم، بما هو مفيد ونافع، والوقوف إلى جانبهم، رعاية وتوجيهاً وتعليماً .

هذه الأمور لن تتأتى إلاّ بجهود مبذولة، في التوجيه والإعداد، ومغالبة للنفس في العمل وحسن الإدراك. وجهود أخرى من المراقبة والحيطة، وتوعية للشباب بصبر وإقناع، ورغبة منهم في التتبع وتلمس المداخل لذلك الخطر .

وهذا الجانب المهم، مهما بذل فيه، فإن له طرقاً للإفلات يدركها المتمرسون فيه، والمدفوعون إلى ترويج ذلك الغزو، لأي هدف وبأي مصلحة: شخصية أو جماعية، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبان عن طريق يُخْرِج الشباب من منعطفات ذلك الغزو، ويعينهم على الصبر والعلاج النافع لـهم، ومن ثم لأمتهم التي لزاماً

عليهم الدفاع عنها، يقول صلى الله عليه وسلم: ((**حفّتْ الجنة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات**))[١].

فحتى يدرك الشاب منزلة الجنة، التي هي مطمع لكل مسلم، حيث ترنو الأفئدة لذلك الفوز العظيم، فإنه لا بد أن يكره نفسه، ويفسرها على كثير من الأمور، حتى ينال تلك السلعة الغالية .

واتباع الشهوات التي يبسطها العدو أمامه، بأمور بارزة، وثقافات متعددة، تثير العواطف، وتـحرك الشهوات التي تورد الشباب موارد الردى إن تخاذل، وتسلمهم إلى المهالك التي لا تقتصـر عليهـم، بل تتعدى إلى الأمة بأسـرها، كما قال تعالى: ﴿ **وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴾[٢].

ودور الراعين لمصلحة الشباب وتوجيههم، حتى ينفذ كلامهم إلى سويداء قلوبهم، ومكامن التأثير فيهم، عندما يتحدثون أمامهم عن نماذج الغزو الفكري، الموجه للتقريب بضرب المثل المحسوس أمامهم بين طريقين :

أحدهما: في نهايته أشياء محببة للنفس، ونتائج مفيدة للمجتمع.. والآخر ينتهي بـمن سلكه إلى أشياء تكرهها النفس

---

(١) أخـرجه مسـلم والترمـذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، جامع الأصول ١٠: ٥٢١ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٥ .

ونتائج سيئة للأمة بأسرها .

فالأول: لمن يرغبه، يحتاج إلى الصبر والتحمّل، والإعداد بزاد يعين على الوصول إليه: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[1].

والثاني: لمن يوجه نفسه إليه، فالوصول إليه بتسليم النفس شهواتها، ونسيانها من الزاد: ((**والعاجز من أتبع نفسه هواها ثم تـمنى على الله الأماني**))[2] .

فالأول: الدليل إليه، توجيه ربّاني، وطاعة لله ورسوله .

والثاني: يقود الناس إليه عدو الله الشيطان وأعوانه من شياطين الإنس والجن، مما يقود إلى عصيان أمر الله ورسوله .

والفرق بينهما كبير، والنتائج متباينة؛ لأن الضدين لا يجتمعان .. فطاعة الله فيها الفلاح، وطاعة الشيطان باتباع الـهوى، فيها الخسارة الأبدية، وهذا الأمر لا يتمكن عند الشاب، إلا مع تمكين الإيمان من قلبه، وإيقاظ ضميره، لتمكين تعاليم الإسلام فيه، بالمذاكرة والتعلم، حتى يكبر عنده خوفه من الله، وحرصه على حسن التطبيق، وخوفه من عقاب الله، قبل عقاب ولاة الأمر .

فالشباب عندما تكبر مداركهم، يجب أن يوضح لهم المختصون الأمور بالقرائن الملامسة لأوتار القلب، حتى يستيقظ عندهم

---

(١) سورة الزمر، الآية ١٠ .

(٢) جزء من حديث جاء في سنن ابن ماجه في الزهد برقم ٤٢٥٠ .

الإحساس، وتكبر لديهم المهمة، التي تشعرهم بالدّور الملقى عليهم؛ ليكون الشباب يقظاً وحذراً، ومستعداً للتهيئ للمعركة بما يناسب المقام: من سلاح وقوة .

قوة في الفهم والإدراك، وقوة في الحجة ودرء الشبهات، وسلاح يقارع به ما سلط عليه، وما نصب نحوه من أهداف، يقال في المثل العربي: (إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب) .

فالمسلم كيّس فطن، تحركه المصائب، وتؤثر فيه الأحداث بعدما يستنهض، وخاصة عندما يستهدف دينه، وموطن عزّته، أو تطرح شبهات تمس الذات الإلهية، أو يقصد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو تعاليم الإسلام في القرآن الكريم .

وعندما يتحرك الإحساس في نفسه، ويدرك أن وراء الموجة للأمة الإسلامية شرور كثيرة، فإنه ينبعث مع حماسته، جهد يتّقي به السلاح الموجه إلى الإسلام، بالمدافعة ورد الشبهات المطروحة، بحيطة وحذر وعلم، وغزو مضاد. وهذا ما يسمى: القوة الكامنة .

ونستطيع أن نجمل مسارب الغزو الفكريّ، وتياراته المعاصرة في أمور منها : [١]

١- التحديات ومحاولة طمس معالم الإسلام، ونسيان أثره

---

(١) يراجع في هذا لمن يريد التوسع بحثنا: « الشباب والتيارات المعاصرة » بمجلة البحوث الإسلامية – العدد: ٢٦ ص ٢١٥-٢٥٤ .

على البشرية جمعاء .

٢- الـهجمة الشرسة على الإسلام، والعداء للمسلمين، وتسليط الإعلام ضد المملكة العربية السعودية بالذات؛ لأنها تمثل ركيزة الإسلام .

٣- محاولة قسر الأمور الإسلامية، حتى توافق أهواء أولئك الأعداء، وما يرضي نزغات اليهود خاصة .

٤- التشكيك في التشريعات الإسلامية، ووصفها بأنها تعلم الإرهاب، وتدعو إليه، وكذبهم إعلامياً: بأن المملكة بمناهجها ومدارسها تصدر الإرهاب .

٥- المقاييس المختلفة في التعبير عن الأمور، حيث يعتبرون جهاد الفلسطينيين بالحجارة لضعفهم إرهاباً، وضربهم بالطائرات وأحدث الأسلحة، وهدم منازلـهم، وتشريدهم في العراء، يسمونه مكافحة للإرهاب، وهم المعتدون المتجّمعون من شُذاذ الآفاق.

٦- الرغبة في حذف آيات من القرآن الكريم: كالجهاد، والدعوة إلى دين الله، وغير ذلك مما يريدون منه، التعديل والتبديل في شرع الله، بـما يحلو لـهم، وما يوافق أهواءهم، كما عملوا من قبل في كتبهم، التي طمســوا معالمها، كما قال تعالى: ﴿ **لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ**

عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

٧- إظهار شعارات مختلفة للتضليل من باب دس السم في الدسم، لتكوِّن مجالات ودعوات للتقارب مع الإسلام، باسم التقارب بين الأديان، ودين الله واحد، وأتباع إبراهيم، الدين الإبراهيمي والمؤمنون متّحدون وغير ذلك.

٨- التباعد بين الشباب وبين قياداتهم وعلمائهم وتكفيرهم حتى تنزع الثقة بينهم وبين العلماء وولاة الأمور، وذلك بتجسيم أمور لم تحصل، ووضع أمور في غير محلها، وباب الكذب واسع، وميدانه فسيح.

٩- ابتداع شعارات مطّاطة، لا مفهوم ثابت لـها، ليحركوها كيفما يريدون: كالإرهاب، ومحور الشر، والتطرف والغلو وغير ذلك بقصد التبرير لغاياتهم المبطنّة، والاتجاه للغرض الذي يقصدون.

١٠- الإطلاق على المدارس وخاصة مدارس تحفيظ القرآن الكريم، والمناهج والكتب المدرسية، في ديار المسلمين، بأنها تعلّم الإرهاب؛ ليبرّروا الدخول في الشئون المحلية لكل إسلامي.. والدخول في خصوصيات كل دولة.. مما يرفضونه هم عن أنفسهم، فكيف يبيحونه لأنفسهم بغير حق .

١١- تجسيم التيارات الفكرية، ونشرها وتمجيد أصحابها،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧٨ .

مادامت منطلقة من أفكارهم، واعتبار محاربتها والدفاع عما يمسّ الإسلام إرهاباً، يدعو للتصّدي له، وهذا فيه قلب لموازين الأمور بما يرونه، ففكر الإسلام وتعاليمه في نظرهم باطلاً، وفكرهم الباطل يجعلونه حقاً وذلك وفق عرضهم للأمور: إعلامياً وبثه علمياً .

١٢- وصف الشريعة الإسلامية بالقصور، وعدم الإحاطة ببعض الأمور التي جدّت على مسرح الحياة، وخاصة في الاقتصاد، حتى يبرروا الدعوة إلى استبدالـها بالقوانين والأنظمة الوضعية. وبذلك يخفّ ميزان التشريع الإسلامي من القلوب، وما العولمة إلا جزء من ذلك .

١٣- تسليط المغريات على الشباب من الجنسين، والتركيز على المرأة حتى تخلع الحجاب تدريجياً، حيث يصفونه بالتخلّف، وحقوق الإنسان المهضومة لإخراجها في المجتمعات كما هي عندهم، حتى تنبذ تعاليم الإسلام تدريجياً [١]، وعدم القدرة على العمل[٢].

١٤- وضع البرامج في وسائل إعلامهم المشوّقة في أوقات العبادات عند المسلمين، حتى يكثر المتباطئون عن الصلاة مثلاً،

---

(١) يراجع في هذا بحثنا: «الشباب والتيارات المعاصرة» بمجلة البحوث الإسلامية، العدد: ٢٦ ص ٢١٥-٢٥٤ .

(٢) مررنا بشيء من ذلك في بحثنا بمجلة البحوث الإسلامية بعنوان: «الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة» العدد ٦٥ ص ٢١٧-٢٦٠ .

يعينهم في هذا عدوّ الله إبليس وأعوانه بالإلـهاء والإغراء .

وغيرها من أمور كثيرة، يدركها من يتابع أقوالـهم ودعواتهم في وسائل إعلامهم المختلفة .

ولن نـمّر بكل واحدة من هذه الأمور، التي المقصود بها الشباب، باعتبارهم الركيزة المهمة، في بثّ الأخطار، وتسليط الغزو.. وهذا يحتاج إلى بسط واستدلالات.. لأن الوقت لا يسمح بالإطالة والاستقصاء؛ لأن المثل العربي يقول: ربّ إشارة أبلغ من عبارة، ولعل من معرفة الداء، أن يوفق الله الشباب بالحماسة، إلى الوصول إلى الدواء واستعماله. والإمام مالك رحمه الله يقول: لا يصلح آخر هذه الأمة، إلا ما أصلح أولـها .

فأولـها لم يصلحه إلا الإسلام: تطبيقاً وعملاً، وآخرها لن يصلحه إلا الإسلام والعودة إليه: فهماً وحماسة، وأخذ تعاليمه منهج عبادة، وإصلاحاً للأمة.

وجدير بالشباب أن يتعمقوا في فهم هذه الآية الكريمة: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ** ﴾ [(١)] .

ففي كتاب الله المخرج من كل مشكلة، والحل لكل معضلة، وراحة القلب من كل همّ، والتّصدي لكل خصم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم،

(١) سورة النحل، الآية ٨٩ .

والحكم فيما بينكم)) .

تحصين الشباب:

يقول الإمام الشافعي رحمه الله فيما نسب إليه:[1]

كل العداوة قد ترجى مودتها   إلا عداوة من عاداك في الدين

والعدوّ مهما أبدى جانب المسكنة والتّودد، فإنه كالنار تحت الرّماد، إذا تهيأت لهم الفرصة، تسلطّوا لتحقيق مآربهم، ومن حقيقة ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا القول: ((**ونصرت بالرعب مسيرة شهر**))[2]، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((**سألت ربي ثلاثاً، فأعطيت اثنتين ومنعت الثالثة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة عامة، كما أهلكت الأمم من قبل، فأعطيت إياها، وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم شديد، فمنعت إياها، وسألت ربي ألا يسلط عليهم عدواً من غير أنفسهم فأعطيت إياها**))[3] .

من هذا فإن من حماية الشباب، ووقايتهم من كل عمل يؤثر في أفكارهم :

---

(1) تراجع سيرته وبعض أقواله في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢: ٥٦ – ٧٣، وفي مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لابن منظور ٢١: ٣٥٥ – ٤١٥ .

(2) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم والنسائي عن جابر بن عبدالله (جامع الأصول ٨: ٥٢٩) .

(3) حديث صحيح جاء بروايات، وهذه رواية الموطأ .

– الاهتمام بتحصين الشباب في الجامعات، ضد ما يطرح أمامهم من غزو فكريّ، وشبهات وتحديات تبلبل الأفكار، وتشغل أذهان الشباب، المنفتح على المعرفة، والمقبل على تحمل المسئولية نحو نفسه، وتجاه أمته، فإنه يجب على الشباب وعلى من يهتم بتوجيهه، إدراك قاعدتين هامتين في الإعانة على تحصينه، في المعركة الفكرية مع عدّوه وعدّو دينه، وذلك بالإعانة على الخير وتوسيع دائرته، وعلى الشر بمحاربته وإدراك منبعه والتصدي له؛ لأن الخير والشر يتصارعان، فإذا قويت حجة العدوّ بما يطرح من غزو وتحديات، فإنه يطمع بعلوّ مكانة الشرّ الذي سعى إليه، واتساع دائرته في أذهان الشباب الإسلامي شيئاً فشيئاً .

وهذا لن يكون إلا بتخاذل أهل الخير، ووهنهم؛ لأنه حق قدره الله سبحانه، يجب إدراكه، لأهل الإيمان، أن لا يعلوا الكافرون عليهم، كما قال سبحانه: **﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾**[1]. هذه الحقيقة يجب تمكينها .

فالخير من الله، ويؤيده الله سبحانه وينصره، وينصر أهله، والشر من الشيطان، ورمز لأولياء الشيطان، ولن تعلوا كفته على الخير، وعلى الشباب إدراك هذه الحقيقة، وتنميتها بمسبباتها في نفوسهم وثقافاتهم، والتتبع لذلك علمياً، مع الاهتمام بالتطبيق،

(١) سورة النساء، الآية ١٤١ .

وطرح الشواهد التي تمكن هذه الحقيقة من قلوبهم، حسب الواقع الإسلامي في مسيرته .

فالحسنة التي هي من الله، وتوفيق الله، خير هيأه الله للمسلم بحسن اتباعه .

والسيئة التي هي من الإنسان، قاده إليها تخاذله في فعل الخير، وعقاب من الله جنته عليه نفسه؛ لبعده من الخير، وميوله إلى الشر ودعاته، ألم يقل سبحانه: ﴿ **مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾[1] .

ولذا فإن الشباب، يجب أن يتحصّنوا ضد التيارات الموجهة نحوهم بسلاحين، وفق القاعدتين المهمتين المشار إليهما من قبل :

١ – **شرعي:** قاعدته دينية راسخة من مصدري التشريع في شريعة الإسلام: كتاب الله وسنة رسوله، وما سار عليه السلف الصالح من هذه الأمة، في نظرتهم للأمور، ومعالجتهم ما مرّ عليهم مع الأمم السابقة، وأهل الأهواء.

٢ – **فكري:** يقارع به فكر بفكر، من باب مخاطبة الناس بما يعرفون، لا يميل في مساره عن مقصد الأمر الشرعي؛ لأن العقل وإدراكه، لا يختلف عن الشرع، إذا كان المأخذ سليماً.. وما مال عن المدلول الشرعي العقديّ، فهو فكر لا يصح الاستدلال به؛

(١) سورة النساء، الآية ٧٩ .

لعدم سلامته .

فالمحور الأول: أو السلاح الأول: هو الاستدلال الشرعي، الذي هو عن الله، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يجب أن يهتم به الشباب دراسة وفهماً، ويرعاه معلموهم تفهيماً وشرحاً.

ففي كتاب الله سبحانه، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من النصوص ما يقوّي العزيـمة، ويثبت الجنان، ويلهم من تطرح أمامه نفثات الأعداء؛ ليجد الـجواب المريح للنفس، والمطمئن للمجتمع .

فعندما يقول سبحانه: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ** ﴾ [١]، وقوله سبحانه: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [٢]، وقوله جل وعلا: ﴿ **إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [٣].

فإن من التعمق في الدلالة الكريـمة، أن الله جلّ وعلا، يؤكد في كل آية، بالمؤكدات المعروفة لغوياً، ويجعل سبحانه على نفسه حقاً تفضل به، بأن ينصر المؤمنين، ويثبت أقدامهم، ويطمئن قلوبهم..

لكن هذا التأييد مقترن بشرط تحقيق الإيـمان، وهو التصديق

---

(١) سورة غافر، الآية ٥١ .

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧ .

(٣) سورة محمد، الآية ٧ .

بالقلب، والعمل بالجوارح.. ذلك أن الإيمان، ليس بالتحليّ ولا بالتمنيّ.. ولكن له حقيقة يجب أن ترسخ في القلب، وتؤكد هذه الحقيقة الجوارح بالعمل[1].

وحديث جبريل عليه السلام، الذي جاء ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم عدة أسئلة، على هيئة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يعرفه من الصحابة أحد، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه راوي الحديث، وأنه جاء ليعلّم الصحابة دينهم .

كان أول ما سأل عنه الإسلام: فأجابه رسول الله عليه الصلاة والسلام: ((**أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**)).

ثم سأل عن الإيـمان فقال: ((**أن تؤمن بالله وبـملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**)). ثم سأل عن الإحسان: فقال له: ((**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك**)). إلى آخر الحديث الذي رواه البخاري ومسلم .

وما ذكرناه منه، هي مراتب عقيدة هذا الدين، الذي يبدأ بالإسلام وكل أركانه الخمسة، ظاهرة وبيّنة عند التطبيق، إما

---

(١) يـراجع في هـذا من باب الاستئناس بحثنا في مجلة البحوث الإسلامية بعنوان: ((أثر الإيمان في إشاعة الإطمئنان)) العدد ١٧ ص ١٥٦-١٩٤ .

بالقول، وتلفّظ اللسان كالشهادتين، أو عملية بدنية يبرز أثرها على المطبق وهي الأربعة الباقية .

أما الإيـمان الذي تؤكده كثيراً آيات من كتاب الله، ومنها النموذج المذكور، فهو وجداني محلّه القلب، مما يبرهن على أن حقيقته مغالبة النفس، وقهرها من أجل رضا الله، وتـمكين دلالة هذه الأركان الستة العظيمة، حتى يصدق العمل والقول .

وتعلو مرتبة العقيدة بعد ذلك؛ لتزداد تـمكيناً من قلب العارف بالله، والمهتم بتطبيق أمره في المرتبتين السابقتين: الإسلام والإيمان، إلى أن يكون عمل الإنسان الظاهر، وإحساسه الباطن تحوطه الرقابة الذاتية: ومحاسبة النفس عن سلامة هذا العمل: ظاهراً أو باطناً، بأن من لا تخفى عليه خافية سبحانه مطّلع عليه، وأنه يعلم الدقيقة والجليلة من عبده، مما يدعوه إلى الإخلاص والصدق فيه، وإجادته بقلب حاضر، وهيئة متكاملة. وهذا أمكن في المراقبة .

وهذا ما يجب أن يؤصل عند الشاب في المرحلة الجامعية، بالذات؛ لأن السلّم الـهرمي في الإدراك، والقدرة على الاستيعاب متكاملة، والتهيئة إلى أن تناط به مسئولية رد الشبهات، بارتباط شرعي، من المصدرين اللذين أوصى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، وأخبر أنهم لن يضلوا ما تـمسكوا بهما .

فواجب الموجهين للشباب في هذا السن، تـمكين هذا المفهوم،

حتى تتسع مداركهم لإدراك الأسرار الكامنة، والكنوز النفيسة، في تشريعات دينهم، الذي عليهم حمْلُ همّه بالدفاع عنه، وبيانه للآخرين، وتفنيد شبهات الخصوم بردّ مقنع، وحجة دامغة: ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا** ﴾[1] .

وإن من مرتبة الإحسان، تقوى الله، هذه الخصلة إذا تمكنت من عقل المسلم: شاباً أو كبيراً، فإنها تعطيه راحة في القلب، واطمئناناً في الوجدان، وفتحاً لمغاليق الأمــور، ألم يقـل سبحانه: ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[2]، ويقول: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا** ﴾[3]، ويقول جل وعلا: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا** ﴾[4] .

فمن ارتوى من الشباب، من مناهل القرآن العذبة، وتشبّع من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصحيحة الصافية هيأ الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه العلم والفهم، وقوّى عزمه في المقارعة والمجادلة بالتي هي أحسن .

أما المـحور الثاني، أو السلاح الثاني: فهو الحوار الفكري،

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٢ .

(٣) سورة الطلاق، الآيتان ٢ ، ٣ .

(٤) سورة الطلاق، الآية ٤ .

لمنازلة أصحاب الغزو الفكري الموجه لشباب المسلمين بوسائل الإعلام المتعددة: من مسموع ومرئي ومقروء .

فإن الإمام سفيان الثوري[١] يروى عنه رحمه الله قوله: هم رجال ونحن رجال، ولهم عقول وعندنا عقول .. وأمكن من ذلك قول الله سبحانه: ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[٢]. ونحن معاشر المسلمين ديننا لم يترك العقل والفكر، جانباً بل له جانب كبير في المخاطبة وردّ الأباطيل، وخاصة فيما نلمس في القرآن الكريم، في رد شبهات الكفّار، وفي محاورة أهل الكتاب في حججهم وشبهاتهم، حيث نجد تكرار ما يتعلّق بالفكر في مثل: لآيات لقوم يعقلون، لقوم يتفكرون، لأولي الألباب، ألهم قلوب لا يعقلون بها ... الخ.

وهذا كثير جداً في القرآن الكريم، مما يبيّن أهمية مقارعة الحجة، بدليل أقوى، ومناقشة الغزو ببرهان أمكن، واللغة هي السبيل المبين في مخاطبة العقول بما تدركه، مع الإتيان بما يمكّن القول بالشواهد المقرّبة للأمر.

فالجدال والمناقشة أمر مطلوب في النواحي العقلية، لكن ينبغي

(١) تراجع ترجمته، وبعض أقواله في: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج: ٦: ٣٥٦ – ٣٩٣، و ج٧: ٣ – ١٤٤ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٠٤ .

تأديب الشباب بآداب هذا الدين القويم، لما وراء ذلك من مصالح في مثل :

– عدم الاستفزاز عندما يحاور الشابّ غيره، يقول سبحانه: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[1] .

– أن يكون الجدال بالتي هي أحسن؛ لأنه أدعى إلى التقبّل والتقارب، وأن يكون عن علم ومعرفة؛ لأن ذلك أقوى للحجة، فمن حفظ حجة على من لم يحفظ .

– عدم الغضب والسبّ، حتى لا يحفز الأمر الجانب الثاني، إلى سبّ الله عدواً بغير علم، وسبّ ديننا .

– التوسع في الثقافة، بحيث يردّ عليهم بأقوال مقبولة لديهم، كالمنصفين من بني جنسهم .

– الحرص على ضرب الأمثال والاستشهاد بالنظائر المقربة للفهم، والمزيلة للّبس .

– وأقوى شيء يردّ غزوهم الفكري، اقتناص نصوص من مصادرهم، أو مقتطفات من مفكريهم، من باب مخاطبة الناس بما يعرفون، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .

(٢) تراجع ترجمته ومقتطفات من أقواله وشعره في كتاب نهج البلاغة لابن =

– ولا يغرب عن البال: أن أعداء الإسلام، في عالم الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، من أصحاب الديانات والنزعات والأهواء المختلفة، وهم قد حاربوا الإسلام في الظاهر، وناصبوه العداء في الباطن، قد أدركوا مع هذا العداء للإسلام وأهله، دور الشباب في عصور الإسلام الأولى، ومكانتهم في التّصدي لتحدياتهم؛ لأن نفوسهم قد تشبعت بتعاليم الإسلام، وشرائعه غرست فيهم بذور الخير منذ نعومة أظفارهم، فكانوا مسدّدين في التصدي لخصوم دينهم، وموفّقين بالردود الصائبة، التي من أثرها انجذاب كثير من الخصوم، بعدما بانت لهم الحقائق المقنعة، والحجج الملامسة لأوتار القلوب . إلى دخولهم الإسلام، فكانوا مدافعين عنه، بدل أن كانوا مهاجمين له.. ونريد من شباب اليوم السير على ذلك المنهج .

ودور الشباب في تاريخ دولة الإسلام، يحسن بشباب اليوم معرفته، ليتشبهوا بهم من حيث :

– التمثل بالأخلاق الحسنة التي دعا إليها الإسلام.

– عدم الركون إلى الذين ظلموا أو محبتهم، أو التشبه بهم .

– تأصيل المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، والالتحام مع ولاة الأمر بالطاعة والسمع لهم، بدون معصية لله .

= أبي الحديد، وفي كتاب عبقرية علي لعباس محمود العقاد، وسير أعلام النبلاء: سيرة الخلفاء الراشدين للذهبي ص ٢٢٥ – ٢٢٨ .

– المحافظة على كيان دولة الإسلام، وبناء مجتمعه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1] .

– نسيان الذات من أجل الدفاع عن دين الله، وتقديم الغالي والنفيس من أجل عزة دين الله، وعدم علوّ الباطل عليه .

– نصر مبادئ وتعاليم الإسلام، مع الثبات والتمسك بأوامره واجتناب نواهيه؛ لأن هذا من نصر الله .

الفهم الجيد:

إن الشباب الجامعي في حاجة إلى تركيز الفهم للمهمة التي يجب أن يتهيأ لها، وإدراك دلالات الغزو الفكري الموجه نحو أمته، تأسياً بالصحابي الجليل: حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[2]، فقد روي عنه أنه قال: ((كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة الوقوع فيه)) .

فالشباب في الجامعة، يحسن بهم ألاّ ينتظروا الهجوم عليهم فكرياً .. بل من الحزم تتبُّع ما يثار فكرياً قديماً، على ما يسمعون حديثاً، ليوازنوا ويقارنوا، وليبحثوا عمّا رُدّ به على السابقين،

---

(1) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

(2) تراجع ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير ١: ١٦٨ – ١٧٠، وبتوسّع في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لمحمد بن مكرم المعروف بابن منظور ٦: ٢٤٨ – ٢٦٣ .

ويتلمّسوا ما يناسب اللاّحقين، فيكونوا مهاجمين، بدل أن يكونوا مدافعين .

فالمسلمون في كل مكان ما ضيّع عملهم، ولا أضعف مكانتهم، ولا أدخل عليهم أعداءهم، إلا عدم فهم الدين، واختلاف الكلمة .. وعدّوهم في كل مكان يحرص على تغذية الخلاف بينهم .

وعملية الفكر الإسلامي نحو الشباب، يجب أن ترتكز دعائمه على محاولة فهم الدين فهماً حقيقياً، في العمل والتطبيق أولاً. وإدراك نقاط الخلاف، والعمل بالقضاء عليها ثانياً [1].

– ولا يغرب عن البال أهمية تعليم الناشئة أمور دينهم، وتوسيع مداركهم، والإجابة على تساؤلاتهم بما يرضي طموحاتهم ويطمئن نفوسهم، حتى ترتبط بحسن المأخذ، ويتأصّل حبه في القلوب .

– وبذلك تكبر دائرة الفهم، بتكاثرهم، مع إدراكهم لتعاليم دينهم، ودور هذه التعاليم في تنظيم المجتمعات وإصلاح الأمم .. لأنه ما من حكم شرعي في الإسلام، إلا وراءه مصلحة .. ويسميها بعضهم: حِكْمَة التشريع .

– تنظيم الرحلات الإسلامية، التي منها يتعوّد الشباب، تسيير

(١) ينظر في هذا كتابنا: « الشباب والفكر السليم » نشر رسائل النور رقم (٨) تطوان المغرب ص ٢٧ – ٣٤ .

الحياة اليومية، وتطبيق ما يجهله بعضهم من أمور دينه، وما قيل علمياً وراء العبادات في الإسلام من أسرار، وأن يرعى هذه الرحلات، من يوثق في علمه وخلقه، وسلامة فكره .

- وتكوين المحاضرات والندوات المتنقّلة، وفتح أبواب الحوار للمناقشة والمحاورة، على تصحيح مفاهيم الشباب وتساؤلاتهم .

- ترجمة الكتب ونشرها باللغات التي يفهمها الشباب، والاهتمام بحسن الاختيار، فيما يفيد الشباب حسب الأمور والشبهات المطروحة في المجتمع الشبابيّ.

- نسيان النفس، أو طلب الشهرة في العمل الإسلامي؛ ليكون الهدف الحمية لدين الله، وتربية جيل بأكمله، يخرج على السطح الاجتماعي، ويردّ في الفكر العالمي الأمور إلى مكانتها في دين الإسلام، حسب الفهم الصحيح .

وبذلك يكون لهؤلاء الشباب وزن في المجتمع الذي يعيشون فيه، وتصبح كلماتهم ذات صدى، وأعمالهم نحو أبناء الإسلام في مجتمعهم تتكاثر، وخاصة عندما تحوجهم الأمور، إلى أن يكونوا ضمن الأقليات في بعض المجتمعات.. ليؤثروا فيمن حولهم، ويبينوا لهم مقاصد شريعة الإسلام .

وليظهر عليهم الأثر بما عرفوه ودرسوه، وليؤثروا في غيرهم في حوارهم، ونقاشهم الهادئ مع غيرهم، أوردّهم على ما ينشر من

فكر مغاير لمنطلق الفهم الصحيح، في عقيدة المسلم المتمكّن .

وبذلك يكون لـهؤلاء الشباب وزن في المجتمع الذي يعيشون فيه، وتصبح كلماتهم ذات صدى، وأعمالـهم نـحو أبناء الإسلام في مجتمعهم تتكاثر، وخاصة عندما تحوجهم الأمور، إلى أن يكونوا ضمن الأقليات في بعض المجتمعات .. ليتميّزوا فيمن حولـهم، ويبينوا لـهم مقاصد الإسلام .

– والمفكر يجب أن يكون بعيد النظرة، حاسباً لكل مشكلة حلاً، فإذا رسم الـهدف، ووضحت المعالم، وتأسست القاعدة، سهل أمر التنفيذ بالتّكاتف والتعاون، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وإن من المناسب تضمين حديثي: بكلمة تنسب للإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله[1]، فقد سأل ابنه عبدالله: ماذا تريد لنفسك أن تكون في العلم ؟ فقال: أريد أن أكون مثلك .. فقال الإمام أحمد: ثكلتك أمّك، لقد كنت أتوقع لنفسي أن أكون مثل علي بن أبي طالب رضي الله، فقصر جهدي دون ذلك، وأنت إذا كنت تريد أن تكون مثلي، فلا شك أنك ستقصر دون ذلك .

وهذا ما يراد للشباب بطموحهم، ونـموّ فكرهم، وما يرسمه

---

(١) تـراجع سـيرته في وفيـات الأعيـان لابـن خلكان ١: ٦٣ – ٦٨، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠: ١٦ – ٢٣٣ بتوسّع .

المسئولون عن تعليمهم وتوجيههم، فإنه لا بد من وضع هدف بعيد المرمى، جيد النتائج، وإعانتهم بالأساليب الموصلة لذلك، حتى يكوّنوا بجهودهم – إن شاء الله – حلّ المشكلة جذرياً؛ لأن الفهم الإسلامي يكون عاماً لا فردياً .

وما حقق اليهود – وهم أعداء الله وأعداء الأمة الإسلامية كلها، وأعداء شرع الله – مطالبهم، وأثّروا في المجتمعات التي عاشوا فيها، إلا بتكاتفهم وتنظيم أمورهم، وتخطيطهم بعيد الهدف، وهم أهل باطل، ويسعون خلف كل باطل .. كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عجبت لأهل الحق ونكوصهم عن حقهم، ولأهل الباطل وصمودهم على باطلهم .

أما نحن معاشر المسلمين فأصحاب حق، ونطبق شرع الله، وندافع عن دينه، ونحن أولى منهم بمثل هذا الدفاع والصبر عليه؛ لأن ديننا يأمر بذلك .. وحمّلنا الله رسالة ليست لأنفسنا، وإنما لإسعاد البشرية كلها على وجه الأرض، وتبليغ شرع الله إلى عباد الله، وهذا هو سر الوجود البشري على وجه الأرض كما قال سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ** ﴾[١].

---

(١) سورة الذاريات، الآيات ٥٦ – ٥٨ .

ونرجو من الله الأجر والإعانة، بما لا يرجون، والله سبحانه يقول: ﴿ **إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾[1].

إن الشباب في كل موقع إسلامي، إذا أُحْسِنَ توجيههم، وحُدِّدَتْ لهم مسارات المآخذ الحسنة، وأعينوا بما يضع الصّوى على الطريق .. فإنهم بإذنه تعالى سيتخطّون العقبة في أنفسهم، وستكبر عندهم المهمة، ويكونون دعاة في مجتمعاتهم وعند من حولهم، ومسلّحين ضد الغزو الفكري الذي لا يكبر حجمه في المجتمع، إلا مع نقص العلم، وضعف الوازع الإيماني، فإذا كبرت قاعدة الشباب الفكرية السليمة، فإنهم بحول الله سيؤدون الواجب على كل مسلم حول توضيح الإسلام، لمن يجهله، وتبيين ما وراء شبهات المغرضين، من أهداف مع نقضها، ويكونون قدوة لغيرهم في الجيل بعدهم، وذلك بعد صلاحهم في أنفسهم، وسلامة أفكارهم .

والأهم ألا يتكلم الإنسان إلا بعلم، ولا يجادل إلا بحلم، وأن يكون صبوراً ومتحملاً لما يلقى عليه، أو يكتب ضده، ويمتثل بهذا التوجيه الرباني الكريم : ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ**

(١) سورة الكهف، الآية ٣٠ .

بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]

وما قد يبدر من تقصير، فإنـما هو على عاتق المفكرين، من العلماء المدركين، وينؤ به كاهل المسئولين عن توجيه الشباب، فيحسن تداركه بالتناصح والتعاون على البـر والتقوى .

والله الموفق لكل خير؛؛؛

(1) سورة النحل، الآية ١٢٥ .